**نشأة علم الجريمة (الإجرام)**

نشأ علم الجريمة نشأة فلسفية بعيدة عن الروح العلمية، ترجع إلى أيام "سقراط وأفلاطون وأرسطو"، إذ كان هؤلاء الفلاسفة يعزون الجريمة إلى نفس فاسدة وشريرة أسبابها عيوب الخلقة والجسم .ومن أقدم النظريات الفلسفية في تفسير الجريمة قول سقراط بأن السلوك الإجرامي والجريمة يرجعان إلى الجهل، وأن السلوك السوي والفضيلة يرجعان إلى العلم. وقال أفلاطون في كتابه (القوانين) إن سبب الجريمة طبيعي في الفرد، ويساعد عليه شيطان يحمله الإنسان معه أينما سار، في حين يرى أرسطو أن السبب وراء السلوك الإجرامي ليس غيبياً ولكنه يرجع إلى الجشع والحسد وحب الثروة والطموح.

وبقي هذا الاتجاه الفلسفي قائماً حتى العصور الوسطى حيث سادت نظرية تقول: إنه يمكن الوقوف على طباع الشخص من خلال فحص خطوط يديه ورجليه وجبينه وغير ذلك من العلامات الجسمية. ثم تلت هذه النظرية نظرية أخرى تربط الجريمة بالكواكب فتعلق مصير الإنسان على الكوكب الفلكي الذي كان متسلطاً عليه عند ولادته، فيما لو كان كوكباً طيباً أو خبيثاً، وقد تلى ذلك بحوث لعدد كبير من العلماء منهم من ربط الجريمة بطبائع فردية تكشف عنها عيوب خلقية ظاهرة سواء في العينين أو في الجبهة أو في غيرهما، لاعتقادهم أن التكوين الخلقي أو العضوي لا يعدو أن يكون انعكاساً لصفات الفرد وطباعه.ومنهم من قال: إن الجريمة هي سقوط الإنسان في الخطيئة وهي نظرة متأثرة بفكرة دينية، وقال بعض الأطباء الفرنسيين بأن الجريمة والجناح ناشئين من مصدر واحد هو عيوب المخ.

إن ما يعيب الآراء السابقة إنها لم تكن تتسم بالطابع العلمي. أمّا تاريخ علم الجريمة بمعناه العلمي فهو حديث يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر حين أصدر العالم الفرنسي "جيري " Gurry "1802-1866" كتاباً تناول فيه أسباب الجريمة وعزاها إلى أسباب فردية متعلقة بشخص المجرم مثل العمر والجنس، وأسباب اجتماعية متعلقة بالبيئة المحيطة به مثل المهنة وتقلبات الجو والتعليم وغيرها معتمداً على الإحصاءات الجنائية.

وفي عام"1864" أصدر"جيري " كتاباً آخر تحت عنوان"الإحصاء الجنائي لإنجلترا مقارنة بالإحصاء الجنائي لفرنسا "وقد توصل من هذه المقارنة إلى النتائج التالية:

\* عدم وجود تناسب بين الجريمة والجهل.

\* ازدياد بعض الجرائم بانتشار التعليم.

\* جرائم الاعتداء على الأشخاص لا تعود دائماً إلى الفقر، فقد تكون ناتجة عن ظروف لها علاقة بالحياة الخاصة للمجرم مثل الخلل النفسي وغيره.

وفي المرحلة ذاتها ظهر العالم البلجيكي" كتليه" "1796-1874" Queteltالذي أصدر كتاباً اعتمد فيه على الدراسات الإحصائية أيضاً، وحاول فيه أن يتبين العلاقة بين السلوك الإجرامي بوصفه ظاهرة وبين بعض العوامل الأخرى مثل سن المجرم وجنسه ومستوى معيشته، وانتهى إلى نتيجة مفادها:" أن الظاهرة الإجرامية ظاهرة اجتماعية تخضع لقواعد تحكمها، كأي ظاهرة طبيعية ما يجعل الطريق سالكاً لإقامة علم متكامل لدراستها وباستخدام الأسلوب العلمي.

وبالرغم من أن هذين العالمين كان لهما الفضل في وضع اللبنات الأولى لعلم الاجتماع الجنائي غير أن بحوثهما تعرضت إلى مجموعة من الانتقادات أهمها إسرافهما في التأكيد على العوامل الاجتماعية المسببة للجريمة على حساب العوامل الفردية، الأمر الذي أثر في الاتجاه الفكري لبعض العلماء الذين وجدوا في النظام الاجتماعي السبب الأساس للظاهرة الإجرامية، وما المجرم إلاّ ضحية لهذا النظام، وأن السبب في ذلك يعود إلى الأسلوب الإحصائي الذي تم اعتماده من قبل هذين العالمين في دراسة الجريمة، وهو أسلوب يصعب في ظله دراسة العوامل الفردية للجريمة.

كما أصدر"كيتليه" في عام "1835" كتاباً آخر بعنوان "الإنسان وتطور ملكاته"، حيث تعرّض فيه لأثر العوامل الاجتماعية والظروف الاقتصادية والبيئية في الجريمة. وتعد دراساته أساساً لعلم الأجناس والإحصاء الجنائي، كما ساهمت في نشأة علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع الجنائي.

وفي عام "1850" ظهر المذهب الاشتراكي على يد كل من"ماركس"و"أنجلز"K.Marx & Engels. ويعد الاقتصادي" بونجيه " خيرُ من مثل الاتجاه الاشتراكي وكشفَ مثالب النظام الرأسمالي وأوضح أثر ذلك في التشجيع على ارتكاب الجرائم، وعلى العكس من ذلك كشف طبيعة النظام الاشتراكي ودوره في القضاء على المشكلات الاجتماعية عامة وعلى الجريمة خاصة.